التنشئة الاجتماعية **المحاضرة الثالثة**

يعد بعض علماء النفس الاجتماعي ان عملية التنشئة الاجتماعية هي محور المادة الدراسية لهذا العلم .

ان عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية موضوعية حيث يعمل المجتمع بمقتضاها فيؤثر على الفرد فيصبح بموجبها ومن خلالها متلائما مع حضارته بطرق منظمة وهي بهذا عملية نقل الحضارة من الاجيال السابقة الى الحاضرة ثم ايصالها الى المستقبل وهي ايضا عملية لتطوير المهارات والاساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق اهدافه وطموحاته في الحياة السليمة في مجتمعه . والتنشئة تبعا لذلك هي تشكيل الفرد عن طريق ثقافته حتى يتمكن من الحياة في هذه الثقافة . ولكل ثقافة من الثقافات طابعها الخاص الذي يميزها من غيرها من الثقافات وتحاول كل ثقافة طبع افرادها بطابعها ولكن على الرغم من ذلك نجد اختلافات بين الفرد في الثقافة الواحدة نفسها تختمها البيئة الجغرافية والاجتماعية .ان هدف التنشئة الاجتماعية ينبغي ان يحدد من قبل المجتمع ونموذجا للشخص مرغوبا به وعليه العمل بموجبه . والاسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تمثل المجتمع وهي المسؤولة عن اعداد الطفل لثقافته فهي التي تنقل اليه الآراء والافكار والمعتقدات والقيم والعادات السائدة في مجتمعه . اضافة الى هذا فان الطفل سيتعرف على الادوار الاجتماعية والاتجاهات المؤيدة لها وكيفية تنسيقها مع ادوار الاخرين وكذلك يتعرف على المهارات التي تساعده في المشاركة في المنظمات الاجتماعية . ثم يأتي دور المدرسة التي ستساعده على اكتساب الخبرات واعداده لحياة الجماعة . فالفرد يتعلم عن طريق قيامه بعمليات فرعية ضمن عمليات التنشئة الاجتماعية . التي من اهمها عمليات التفكير او المحاكاة و الايحاء والمناقشة . فالطفل يقلد الكبار وخاصة الوالدين فهم المثل الاعلى له. اما الايحاء فيكون بطريق مباشر عن طريق الاقتناع او عن طريق غير مباشر فسماع الطفل من اهله حب الوطن والاخلاص له سيترك في شخصيته اثرا عميقا . اما المنافسة فهي الحث عن طريق عدة اشخاص يتنافسون فيما بينهم للتعلم وتتضمن الرغبة في الحصول على الثواب والابتعاد عن العقاب ان هذه الطرق تشكل حياة الفرد منذ السنوات الاولى لطفولته لتحوله من مجرد كائن حي الى كائن بشري اجتماعي . ويرى (كاردنر) ان هذه الطرق او النظم مسؤولة عن تكوين الشخصية للأفراد في ثقافتهم ، ويرى ان هذه النظم تشمل الخبرات وانماط السلوك المتصلة بالعناية بالطفل كالرضاعة ، والفطام ، والتدريب على الاستقلال ، والتصرف ازاء الانفعالات ، ومعاملة الكبار ، والتربية الجنسية .

وهناك دراسات عدة قام بها العلماء لدراسة العادات المتصلة بهذه النظم في الثقافات المختلفة البدائية منها والمتحضرة وحاولوا في ضوئها الكشف عن مكونات الشخصية الاساسية كما حاولوا تفسير ما يسود الثقافة من نظم كنظام الاسرة. والزواج ، والطلاق ، والدين ، وما اليها مما يسمونها بالنظم الثانوية في ضوء الشخصية الاساسية . ويرون ان مثل هذه النظم الثانوية هي نتاج حتمي للشخصية الاساسية . يظهر لنا ان الفرد يولد وهو ليس بكائن بشري فقط بل تقوم الثقافة عن طريق الاسرة بتشكيل استعداداته وتنميتها وتوجيهها طبقا لنظم وعادات معينة ، فيمكن النظر اليه ككائن اجتماعي ايضا .

النمو الاجتماعي من الطفولة الى الشيخوخة :-

يكون الفرد عند ولادته مخلوقا غير اجتماعي . ولا يعير اهتماما للأشخاص المحيطين به ما دامت حاجاته الجسمية مشبعة ، ولا يستجيب الوليد خلال شهرين الاولين من الحياة الا للأشياء الموجودة في محيطه . وتحدث الاستجابة فقط عندما تكون المثيرات قوية ، كالأصوات العالية مثلا . ومع بداية الشهر الثالث ، يبدا السلوك الاجتماعي بالتغلب .

يبدا السلوك الاجتماعي عندما يظهر الوليد تمييزا بين الناس والاشياء الجامدة ويستجيب استجابة مختلفة لكل منها . ففي هذه الفترة تقوم عضلات عينية بوضعية تمكنه من النظر الى الناس ، والاشياء ومتابعة حركاتهم كما ان سمعه يكون قد نما الى درجة تمكنه من التمييز بين الاصوات المختلفة .

وتحدث اولى استجابات الطفل الاجتماعية نحو الكبار ، لان احتكاكه الاجتماعي يبدا معهم عادة . ويبكي الطفل في الشهر الثالث اذا ترك وحيدا ، ولكنه يسكت اذا تحدث اليه احد ، ويمكنه ان يتعرف على امه او م يحيطون به ، ويظهر خوفه من الغرباء .

ومنذ الشهر الرابع تظهر لديه الرغبة في ان يحمله الاخرون ويركز انتباهه على الوجوه ، ويبتسم لمن يتحدث اليه .

ومنذ الشهر الخامس والسادس يميز الطفل بين الابتسام والزجر بين الاصوات الرضا وصوت الغضب.

وفي الشهر الثامن او التاسع ، يحاول الطفل ان يقلد نطق بعض الكلمات والقيام ببعض الاشارات البسيطة . وفي الشهر الثاني عشر يمتنع عن القيام بعمل عندما ينادى عليه ب لا ... وفي الشهر الخامس عشر يزداد ولع الطفل بالكبار ، كما تزداد رغبته في ان يكون معهم وان يقلدهم .

وفي عمر سنتين ، يستطيع القيام ببعض الاعمال البسيطة التي يطلبها منه الكبار.

وهكذا فانه خلال فترة قصيرة نسبيا يتحول الطفل الى عضو فعال يشارك في النشاطات الاسرية .

وتنمو استجابات الطفل الاجتماعية نحو الاطفال بسرعة خلال السنة الثانية . ففي الفترة ما بين الشهرين 13-18 يقوم الطفل بتقليد طفل اخر في اللعب والابتسام . وينتقل اهتمامه من مواد اللعب الى الطفل الذي يلعب معه ، وخلال النصف الثاني من السنة الثانية يعد الطفل مواد اللعب وسيلة لإقامة العلاقات الاجتماعية مع الاطفال الاخرين ، ويعدل سلوكه مع من يلعب معه . ويتعلم الطفل منذ نهاية السنة الثانية الى السنة السادسة كيف يقيم العلاقات الاجتماعية والتوافق مع الناس خارج البيت ، خاصة مع الاطفال ممن هم بمثل عمره . ويحدد حجم اتصال الطفل بالأطفال الاخرين في هذه الفترة مدى نموه الاجتماعي في المستقبل . لذلك فان الاطفال الذين تتوافر لهم فرصة الذهاب الى رياض الاطفال يحققون توافقا اجتماعيا

افضل ممن لا تتوافر لهم تلك الفرصة ويعد نوع الخبرات الاجتماعية التي يحصل عليها الطفل اهم من عددها .

كما ان الوقت الذي يقضيه الطفل مع الكبار يقل كلما تقدم في العمر ، ويزداد في نفس الوقت اتصاله ، بإقرانه ويجد المتعة في وجوده معهم وتزداد رغبته في الاستقلالية عن الكبار، وقد اظهرت الدراسات ان الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة يزداد اتجاههم الايجابي نحو الاطفال الاخرين ويقل عدوانهم نحوهم كلما تقدموا في العمر.

بعد ان دخل الطفل المدرسة الابتدائية ، فان دائرة رفاقه تنمو وتتوسع ففي بداية الحياة المدرسية يدخل الطفل في مرحلة ((جماعة اللعب)) وهي مرحلة ينمو فيها الضمير الاجتماعي بصورة سريعة . حيث يصبح الطفل عضوا في تلك الجماعة . التي تحل بالتدريج محل الاسرة في التأثير على سلوكه واتجاهاته ويميل الطفل عادة الى ان يختار اقرانه من نفس عمرة وممن لديهم ميول تشابه ميوله .

ان اهم متطلبات النمو في هذه الفترة ، هو ان يكون الطفل قد حقق درجة جيدة من النجاح في عملية التطبيع الاجتماعي . ويكون الطفل عندئذ عضوا في جماعة من الاطفال لها تأثير على القيم والاتجاهات التي اكتسبها في البيت كما تدربه على الاستقلالية بما تضع عليه من مسؤوليات وقد تؤدي الجماعة الى نمو الصفات المرغوبة بالتعاون واضعاف الانانية والنزعة الفردية لديه .ومن جهة اخرى قد تؤدي الى نمو الصفات غير مرغوبة كالتغيب عن المدرسة او عدم احترام القواعد الاجتماعية ومعاييرها .

كما ان لجماعة الرفاق فوائد اخرى اذ سيكشف الطفل اشياء تعبر عن نفسه كقدرته على القيادة او الخضوع وقابليته على التحصيل الدراسي ، واستجابة الاخرين نحوه... كل هذه الخطوات تعد خطوات مهمة في النمو الاجتماعي . ثم يدخل الطفل مرحلة المراهقة التي تتقوى فيها اواصر العلاقات الاجتماعية بينه وبين بيئته الاجتماعية .فهذه الفترة تتميز بالمشاعر والاحساسات ذات الصلة بالمثل والقيم الاجتماعية . فالمراهق يتمثل قيم مجتمعه السائدة ثم يرتبها وفق نظام نسبي لا مطلق . ويتم نمو القيم والاحكام الخلقية وفق تسلسل مرحلي ثابت ، لكن الانتقال من مرحلة الى التي تليها او التوافق فيها يعتمد على طبيعة العلاقات التي عاش فيها المراهق في طفولته .

وفي هذه الفترة يحاول كل من الفتى والفتاة الاستقلال بنفسيهما ، والتحرر من ضغط الوالدين .

وفي هذه الفترة وخلال النضج الجنسي يقوي ميل المراهق للجنس الاخر كما هو الحال في جميع الموافق الجديدة التي تواجه المراهق عليه ان يتكيف بهذا الوضع الجديد من مظاهر نموه الاجتماعي ايضا ولعه بإظهار ذاته في سبيل جلب اهتمام الاخرين به ورغبته في ان يساهم واياهم في حياته العملية والاجتماعية .

ان ملخص مهمات نمو المراهق الاجتماعي تضم ست حاجات مهمة هي :-

1-الحاجة الى اقامة صلاة فردية مرضية

2-الحاجة الى توسيع صداقات الطفولة عن طريق التعرف على افراد جدد يختلفون في خلفياتهم وخبراتهم وافكارهم .

3-الحاجة الى الانتماء والقبول والاعتراف به ضمن فئة اجتماعية معينة

4-الحاجة الى اجتياز الميول وحيدة الجنس الخاصة بالطفولة

5-الحاجة الى تعلم اشغال وممارسة دوره الفردي في النمو الاجتماعي واختيار شريك الحياة ثم الزواج الناجح .

6-الحاجة الى اشغال دوره في السلوك الملائم لجنسه كرجل او أمراءه

في فترة المراهقة تصبح الحاجة الى الصداقة امر بالغ الاهمية . ان حاجة المراهق الاولى هي البحث عن رفيق يلجا اليه ويستطيع ان يمنحه الود المتبادل ، ويجد لديه ميولا واهتمامات وحاجات متشابه لميوله واهتماماته . لذلك فهو بحاجة الى صداقة حقيقية مخلصة قائمة على الثقة والتفاهم . ان شعور المراهق بانتمائه الى عدة جماعات مثل الاسرة وجماعة الرفاق وانتمائه الى نظام اجتماعي عام . ذو اهمية في منحه الثقة والاطمئنان . حيث تعد نزعة الفرد الى الامتثال والاتحاد مع هذه الجماعات والاسهام فيها والمؤامة معها . من اقوى الدوافع في العلاقات الانسانية .

اما التغييرات العصبية فتاتي على صورة تقليل ونقص تدريجي في قوة الارجاع والاستجابات العصبية كما انها تشمل العديد من العمليات العصبية التي تعتمد على حيوية الدماغ مثل الذاكرة ولتعلم واكتساب الخبرة والمهارة الجديدة .

وتحدث كذلك تغيرات في الحياة النفسية للفرد تدريجيا كما هو الحال في عمليات التغيير الجسمي والعصبي . الا ان التغيير النفسي يبدو سريعا وواضحا في مرحلتين من مراحل وهي مرحلة المراهقة ومرحلة الشيخوخة .

واهم ما يحدث من تغيير في المرحلة الاولى هو قلة التوافق بين الحياة العاطفية والسلوك والفكر عند المراهق. اما التغييرات التي تحدث في الكبر فأنها تتسم بصفات التصلب النفسي مما لا يمكن الفرد من التكييف الكافي لمتغيرات الحياة وظروفها خاصة المستجدة وغير المألوفة منها . ويزامن ذلك هبوط في درجة الحماس وفي الطموح والاندفاع نحو تحقيق الاهداف التي تبناها الفرد في دور سابق. كما يحدث تضييق وتقليص في مجال اهتمامات الفرد لما يجري حوله ، كما يتركز اهتمام الفرد بشكل متزايد بذاته او ما يتصل به مباشرة ويبدو عليه ما يدل على تناقص في المرونة في التعامل وفي الاستعداد لفهم وجهات نظر الاخرين ، ويميل الى التمسك بما يتذكره عن زمانه القديم والحنين اليه اكثر من اهتمامه وتقديره لعالمه الحاضر، وهو لذلك يتصف بمعناه الراي وبصعوبة الاقناع والتقبل لما هو جديد في الحاضر. وتظهر بعض بوادر فقدان الفرد لبعض مظاهر التوازن النفسي والمقدرة على التحكم بعاطفة مما يؤدي الى حدوث انفعالات عاطفية انية وحادة اشبه ما تكون بالثورات الانفعالية التي يعاني منها الاطفال والاحداث وهو الامر الذي يبرر وصف الشيخوخة بانها الطفولة الثانية. كما تحدث تغيرات في العديد من العمليات العقلية بسبب

الكبر ، وهذه التغيرات غير متساوية او متوازية في جميع الملكات العقلية. فهنالك تفاوت في التغير بين ملكة واخرى وبين فرد واخر. وعلى العموم فان هنالك ثلاث فئات من انواع التغير ، في الفئة الاولى يبدو ان العمليات العقلية تتقدم وتتحسن مع تقدم العمر، وفي الفئة الثانية نجد العمليات العقلية التي تصل ذروتها في سن المراهقة وتظل بعد ذلك ثابتة طول الحياة ، والفئة الثالثة تشمل العمليات العقلية التي تميل تدريجيا الى الهبوط والتنازل مع تقدم العمر. وبصورة عامة فان حصيلة التغيرات العقلية التي تحدث في الكبر تعتمد على توفر عوامل عدة منها نوعية العمل الذي يعهد به الى الفرد وما يتطلبه هذا العمل من تجربة وممارسة او من ذكاء وتعليم وذاكرة .

اما التغييرات الاجتماعية ، فهنالك الكثير من مظاهر التغيير في المجال الاجتماعي للفرد بتزايد وتقدم العمر . فبعضها يأتي نتيجة لعجز الفرد عن مجاراة وملاقاة ما تطلبه الحياة من تغيير في نمط علاقاته الاجتماعية . وبعض ذلك يأتي بسبب ما يحدث من تبدل في التكوين العائلي مع تقدم العمر من تشتت بعض افراد العائلة بسبب الوفاة او الرحيل او الزواج او بسبب التغير في ظروف العمل او الموقع الاقتصادي . وجميع هذه العوامل تحدث تغييرا في الصلاة الانسانية وفي اسلوب الحياة وفي تصور الفرد لمكانته الاجتماعية وفي تقديره لنفسه وفي جدوى حياته في العائلة او المجتمع ، واذا ضاقت جميع هذه المجالات ، فان لها ان تدفع بالفرد الى وضع من العزلة الاجتماعية ، ومن الواضح ان اثر هذه العوامل يتفاوت بين فرد واخر كما ان هذا الاثر يعتمد الى حد كبير على المكانة المعنوية التي يحظى بها المسن في المجتمع والعائلة التي ينتمي اليها او على مد مساهمته بالنشاط والفعل الاجتماعي .

الذات ومفهوم الذات:-

الذات هي المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه باعتباره مصدر للتأثير في البيئة المحيطة ، اي هي مجموعة التنظيمات السلوكية التي يمكن ان تصدر عنه نحو البيئة المحيطة وعلى الاخص بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه .

ويتكون مفهوم الذات من افكار الفرد الذاتية المنسقة المحددة الابعاد عن العناصر المختلفة لكينونته الداخلية والخارجية ، وتشمل هذه العناصر المدركات والتصورات التي تحدد خصائص الذات كما تنعكس اجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتصورها هو ((الذات المدركة)) والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة التي يعتقد ان الاخرين يتصورونها والتي يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الاخرين ((الذات الاجتماعية))والمدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية للشخص الذي يود ان يكون ((الذات المثالية)) .

ووظيفة مفهوم الذات وظيفة دافعية وتكامل وبلورة عالم الخبرة المتغير الذي يوجد الفرد في وسطه ولذا فانه ينظم ويحدد السلوك.

انه بالرغم من ان مفهوم الذات ثابت الى حد كبير الا انه يمكن تعديله تحت ظروف العلاج النفسي الممركز حول العميل الذي يؤمن بان احسن طريقة لأحداث التغير في السلوك تكون بان يحدث التغير في مفهوم

الذات .... هذا ما يقوله كارل روجرز صاحب نظرية الذات . ومن اهم المفاهيم التي تؤكدها نظرية روجرز في الذات ما يأتي:

1-الفرد هو الفرد ككل

2-المجال الظاهري(عالم الخبرة)الذي هو مجموع الخبرات الفردية ، او الخبرة في كليتها وليس في جزئيتها.

3-الذات وهي ذلك الجزء من المجال الظاهري الذي يتكون من الادراكات والقيم المتعلقة بالذات او الانا او بالفرد كمصدر للخبرة والسلوك والذات التي تكون المفهوم الجوهري لنظرية الشخصية عند روجرز لها **خواص متعددة منها،**

1-انها تنمو بتفاعل الفرد مع البيئة

2-انها ربما تعرض قيم الافراد الاخرين وتدركها بصورة مشوهة

3-ان الذات تكافح من اجل الثبات

4-ان الفرد يتصرف بأساليب تكون موافقة مع تكوين الذات.

5-ان الخبرات التي لا تكون مطابقة وموافقة مع تكوين الذات تدرك كمهددات

6-ان الذات تتغير نتيجة للتعلم والنضج .

وقد ظهر تطور في نظرية الذات على يد ((فرنون)) 1963 والذي يذكر ان هناك عدة مستويات للذات وطبقا لآرائه قان كل فرد يشعر انه يملك نواة حقيقية او ذات مركزية تختلف عن الموجودات الخارجية وان الذات المركزية معقدات ذات اجزاء كثيرة وهي في صراع دائم مع بعضها ، ولكنها تكون على الرغم من ذلك موحدة بواسطة احساس الذاتية . وان مفهوم الذات يحتوي على دوافع تظهر احيانا انها تعمل خارج ضبط الفرد وتحكمه وارادته اي بعيدا عن تحكم الفرد ويحتوي ايضا على المثاليات والاماني والمستويات (الانا الاعلى) الذي يختلف عن المستويات الاخرى. وينظر فرنون الى الذات كما لو انها مكونة من مجموعة من المستويات الادراكية في تكوين الشخص الداخلي او في نظامه الادراكي ويوازي هذه المستويات الداخلية مفاهيم او اتجاهات نحو الاخرين والبيئة وهذه المفاهيم او الاتجاهات توجد هي الاخرى على اربعة مستويات كذلك هي الاجتماعية او العامة، البصيرة ،الخاصة، العميقة وهي عبارة عن المفاهيم الخارجية التوجيهية .

ومن هذا العرض لآراء فرنون نجد انه قد اضاف هذا التقسيم الذي اقامه على المستويات التي يتكون منها مفهوم الذات . وذلك يعتبر مرحلة متقدمة في تفسير محتويات الذات . ومما يؤكد هذا التفسير انه قد تبين من دراسة ((جون فرانسيس)).